فاجعة جسر الائمة

جماهير مدينة الصدر تطالب بكشف حقيقة ما حدث

تحقيق / مفيد الصافي وعمار الربيعي

كان الزحام شديداً، واصوات الاناشيد الدينية تختلط مع هدير زحف الزوار الذين تشابكت اجسادهم فوق جسر الائمة، كان الجميع يتوقون إلى عبوره على عجل وفجأة حدث شيء غريب، اذ اخذت الجموع الزاحفة تعود إلى الخلف، وارتدت الموجة البشرية لتحاصر الجميع عند بداية الكتل الخرسانية الموضوعة في بداية جسر الائمة وحدثت المأساة، اختناق، دوس تحت الاقدام، وصراخ وبحث عن منفذ ثمة طفل من على الجسر يصرخ بأبيه الذي دفعته الكتلة البشرية إلى مياه نهر دجلة "ابي، ابي"، لم يستطع الطفل ان يتحمل الاختناق اكثر فرمى بنفسه من فوق الجسر، وتوقف الزمن!!

شاهد عيان

شاكر محمود سليمان، ٤٨ عاماً، تحدث عن لحظات المأساة قائلاً: في نحو العاشرة والربع كنت على الجسر اقرب إلى جهة الاعظمية، وفجأة ارتدت علينا موجة بشرية من جهة الكاظمية، فرميت نفسي من على الجسر، ووقعت على ضفة النهر وبعد ان استعدت وعيي عدت مرة اخرى إلى الجسر لاساعد في نقل الشهداء الذين تكاثروا في مكان واحد على الجسر عبر سلم جانبي واضاف: اعتقد ان السبب في اثارة رعب الناس انهم سمعوا شخصاً يقول ان احدهم يحمل حزاماً ناسفاً. كنا نهتف بشعارات دينية، لو كنا نخاف لم نكن لنخرج إلى الزيارة كان الموت امامنا وهذا ما توقعناه، وكان خروجنا تحدياً للارهاب لقد حوصرت هناك سقط رجل كبير السن على قدمي لا ازال اتذكر لون ردائه الرصاصي اللون، فقمت انا مع بعض الاشخاص بنقله من الجسر.

اللحظات العصيبة

واكمل الرجل قائلاً: شاهدت شاباً قربي يعاني من الاختناق، وطفلاً صغيراً إلى جانبي قال لي "عمي اخرجني من هنا" فقلت له: كيف اخرجك "كانت يدي محصورة بين الاجساد، وقد مال جسمي إلى الامام. قلت لشخص امامي اذا سقطت فسوف نموت جميعاً كانت هناك نحو خمس نساء سقطن امامه، كان السبب الرئيس هو الموجة البشرية القادمة من جهة الكاظمية. مع ان حركة الجسر كانت باتجاهين لقد جاءت الموجة بعكس حركتنا فسقط ضعاف البنية اولاً، ثم بدا تساقط الناس واحداً خلف الاخر، شاهدت رجلاً سقط اسفل كوعي فاختنق وعندما رفعت رأسه كان وجهه ازرق اللون. احدهم كان خلفي فدفعني إلى الخارج وعندما تمسكت بسياج الجسر استطعت انقاذ نفسي. الجرحى الذين رايتهم كانوا قد تعرضوا إلى ضربات في اجسادهم بعد ما عانوا من الاختناق والسقوط تحت الاقدام، كما ان وجود الكتل الخرسانية ساعدت في حصرنا وبعد نحو ساعتين او ساعة ونصف جاءت سيارات الاسعاف وهذا امر يعرفه كل من ذهب من اهل الطالبية ونحن مستعدون ان نشهد بذلك هناك من اهل الاعظمية من ساعد الزوار وادخلوهم في المنازل واجروا لهم الاسعافات الاولية كان اكثر المصابين يعاني من الاختناق، او الكسر بسبب الدوس. انا بنفسي حسبت ٤٥ شهيداً انزلناهم من على الجسر ثم رأيت مثلهم على الشاطئ لم يكن التنظيم موفقاً ولم تكن هناك مسافات بين المواكب والاشخاص سمعنا بعد الحادثة بتسمم اشخاص قادمين من جهة الراشدية بعد ان تناولوا عنباً مسموماً ونحن لن نترك الزيارة ابداً، وسوف نمشي ونتحدى كل من يمنع ذلك.

الأم والطفل!

حيدر محمد ١٨ عاماً تحدث عن حالته في تلك الساعة قائلاً: لقد سقط فوقي ستة اشخاص، بسبب الموجة البشرية التي رجعت علينا من جهة الكاظمية، وخلفنا كانت الكتل الخرسانية في بداية الجسر من جهة الاعظمية، وحوصرنا هناك، فسقطت النساء والاطفال تحت الاقدام، انا كنت في وسط الجسر، في الجهة اليمنى، لقد رايت نساء رمين بانفسهن إلى النهر، بعض الشباب اتى بمناضد عملوها كسلالم وساعدوا في انزال بعض النساء هناك رأيت امرأة رمت بطفلها إلى الماء ثم رمت نفسها خلفه! هذه المرة كان عدد الزوار كبيراً، ولو كان الجسر فقط للذهاب لما حدث هذا.

الموجة البشرية

واكمل حيدر قائلاً: بعد ان اخذ اشخاص في جهة الكاظمية يصيحون كلمة (حزام ناسف)، ويعودون إلى الخلف، رجع نحو الف شخص خائفين فسقط العديد من النساء والاطفال، واخذ الناس يدوسون عليهم، والجميع اسقط الجميع كثير من الاشخاص سقطوا من على الجسر. ومن عبر الجسر استطاع النجاة بنفسه من الموت. انا استطعت تخليص نفسي بعدها شاهدت طفلين، يبكيان ساعدتهما واخرجتهما إلى امهما. وهنا حوصرت مرة ثانية، فسقط علي ستة اشخاص على الرصيف، ماتوا جميعاً، حاولت ان انفخ في فم احدهم ولكنه مات، بقيت هناك نحو نصف ساعة، بعدها فقدت الوعي، ثم جاء اشخاص وقاموا بانقاذي، ووضعوني في الحديقة، رايت من جهة الحديقة نحو ثلاثين امرأة رمين بانفسهن إلى الماء!!

شاهد عيان آخر

احمد جميل كاظم ١٦ عاماً، قال: ان بعض الاشخاص تسمم من علب العصير الذي قدم لهم، في بعض الاسواق وبعض الشرطة اكدوا ذلك، بعد ان قبضوا على احدهم، كانوا يصرخون في الشارع اما الرجل الذي صرخ بان احدهم يحمل حزاماً ناسفاً فقد قبضت عليه الشرطة واشبعوه ضرباً في طريق عودتي شاهدت احدهم سقط على الارض وقد خرج لعاب كثيف من فمه!!

جعفر فاهر حاتم ٢٥ عاماً قال "كان الزوار يمشون من دون نظام، واذا طلب منهم ان ينتظموا يجيبون: انكم تريدون منعنا من الزيارة، عندما عدنا سمعنا احدهم يصيح بان على الجميع ان لا يشرب الماء او الشربت المقدم اليهم. سرت كثير من الزوار!! تخيل كيف يمكن ان ترمي ابنك من الجسر، اذا لم تكن فاقداً للوعي، لقد أخذ الناس يرمون باطفالهم من اعلى الجسر وهذا يعني انهم قد فقدوا الوعي، بالاضافة إلى من سقط نتيجة للتدافع نحن نتهم البعثيين الصداميين ونطالب الحكومة باجراء التحقيق الكامل وكشف الحقيقة!!

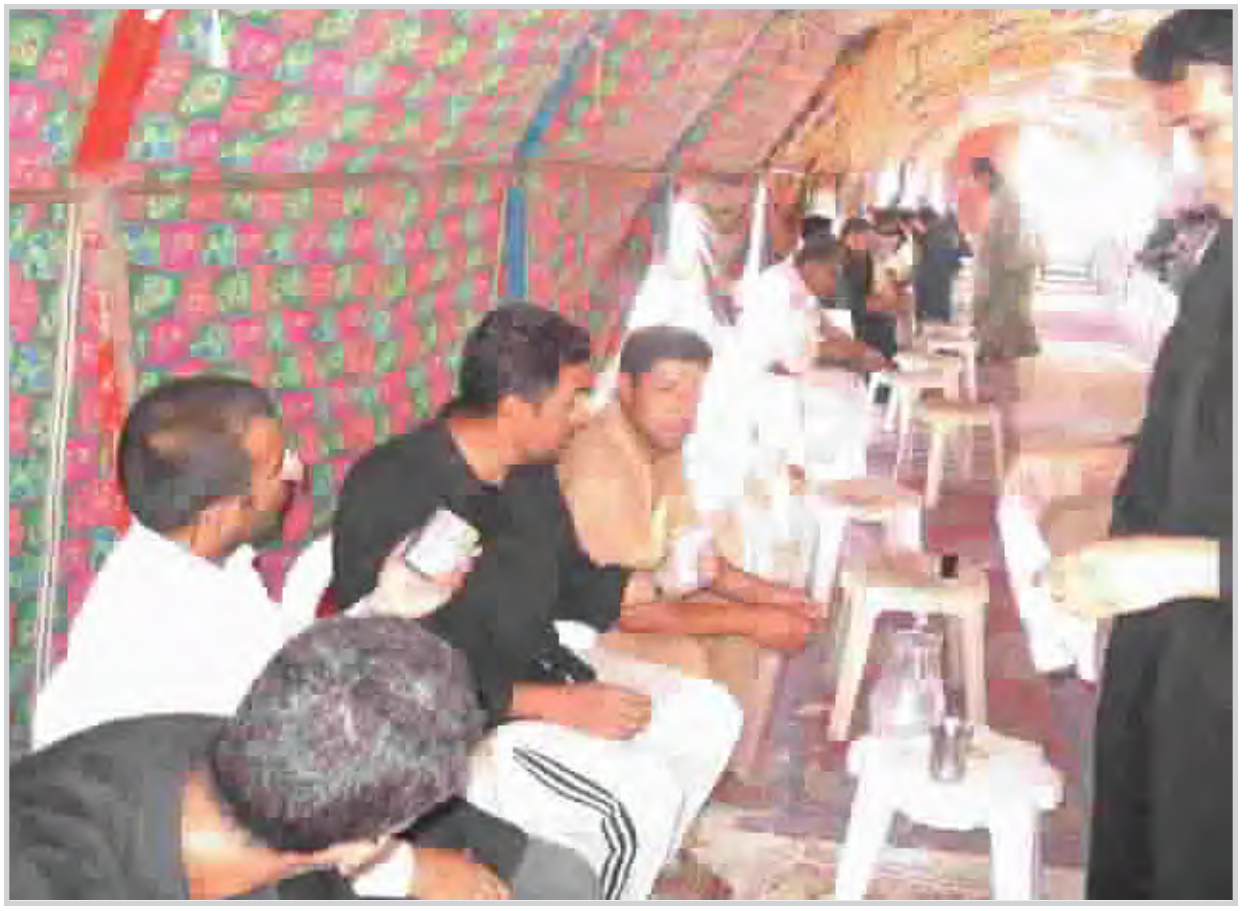

اشاعة الحزام الناسف انطلقت من جهة الكاظمية

شائعة هذا اليوم اتذكر ان طبيبين تحدثا عن حالات التسمم التي اصيب بها الزوار وقد القي القبض عليهما!

في مدينة الصدر

في مدينة الصدر تحدث الينا كريم عبد الرضا العلياوي ٤٥ عاماً عضو المجلس السياسي للمدينة، قائلاً: ان اغلب الشهداء الذين سقطوا على جسر الائمة هم من مدينة الصدر ومن سكنة الرصافة. تعرض كثير من الزوار إلى حالات تسمم بالماء والزرنيخ وهذا الامر ليس شائعة ان ضحايا التدافع الذي حدث لا يمكن ان يكون بهذا العدد ما يزيد على الألف من الشهداء، وسبعمائة جريح. وهؤلاء لا يمكن ان يتدافعوا ويسقطوا بهذا العدد، لانها ليست المناسبة الاولى ولن تكون الاخيرة.. من الادلة التي تثبت تسمم الكثير منهم هي حالات ازرقاق الأيدي، وخروج دماء من العيون والانوف لا يمكن ان نقول ان الزخم، او التدافع فقط هو الذي سبب كل ذلك في حالة الزيارة انا خدمت في الجيش وكان صنفي مكافحة القنابل غير المنفلقة، ان الذي حدث ربما يكون بفعل مواد كيماوية رميت تحت الجسر، عملت على امتصاص الهواء في ذلك المكان مما ادى إلى اختناق

التسمم الغريب

وتحدث السيد فالح حسن عكلة ٤٢ عاماً قائلاً: اننا نؤكد وجود حالات التسمم هذه والتي بدات قبل ساعة من الحادث، وفي المشروبات الغازية. لقد بلغت وزارة الصحة هذا الامر إلى الزوار ولكن بعد فوات الاوان ولقد روى احد الزوار ان بعض الاشخاص الذين كانوا يوزعون علباً مفتوحة من الببسي وعندما كان يقول لهم اعطونا علباً مقفلة، كانوا يرفضون كما ان لدينا حالياً طفلاً عمره ١٣ عاماً ذهب مشياً على الاقدام إلى الزيارة بحثوا عنه في اليوم الثاني وانكر اصحابه وجوده على جسر الائمة فبحث عنه اهله في المستشفيات. بعدها جيء به ميتاً من الطب العدلي، لم يكن مختنقاً او متعرضاً إلى الدوس، او الغرق شك اهله والاطباء بحالته فادخلوه إلى غرفة التشريح، ونحن ننتظر نتيجته إلى الآن!!.

مأساة اب

عبد الكريم صادق منخي الخفاجي ٤٨ عاماً، يسكن في شارع الفلاح قطاع (٤)محلة ٥١٣، كان يتحدث بصوت متهدج عن مأساته "لقد خرجنا في الساعة الثامنة صباحاً، انا وابني الاصغر. وبعد ان وصلنا إلى الجسر قال لنا بعض الاصدقاء باننا لا نستطيع ان نعبر من المكان، لربما يحدث شيء. بعد قليل بدا الزحام ياخذ اتجاهاً معاكساً. حاولنا ان نخلص انفسنا. ان رجوع الناس كان امراً غريباً وغير طبيعي انا وابني كنا في بداية الجسر كنا نحاول ان نقول لمن خلفنا ان يرجعوا ولكنهم لم يصدقوا فوقعنا بين كتلتين من البشر، الدفع كان من جهة الكاظمية اخذ بعضنا يدوس على الآخر، كنت تحت الاقدام قرابة ثلث ساعة، قابضاً على يد ابني كانت لحظات رهيبة.

انا لم اسمع احدهم قال بوجود حزام ناسف. ولكن رجوع الناس كان عنيفاً ابني كان في يدي حاولت ان ابقيه لمدة، ولكنه افلت من يدي، وسقط غير بعيد عني. بعد ساعة او اقل منها اخرجوني من المكان اما هو فقد اخرجوه ميتاً! اكثر من مات خنقاً، وبعض الناس رموا بانفسهم إلى الماء لم اكن استطيع إن أتحرك، فوقعت، على الأرض وفقدت وعيي. بقينا نبحث عن ابني في المستشفيات فوجدناه في مستشفى الجوادر. إن الحدث لم يكن عشوائياً بل كان مدبراً، ربما من بقايا الصداميين أو الإرهابيين. لم ينم ابني حيدر في الليلة التي سبقت الحادثة كان يريد أن يذهب مشياً على الأقدام. رحمه الله. أنا أعمل كاسباً. أسكن مع أهلي في غرفة واحدة، عائلتي عددها ستة أصبحنا الآن خمسة بعدما حدث.

آراء المواطنين

في عزاء لطفل في الثانية عشرة من العمر، اسمه وسام بشير عبود. كان من ضمن قافلة الشهداء. تجمع عدد كبير من المواطنين. تحدث هادي عودة القريشي ٣٩ عاماً. قائلاً: حدث الأمر فوق الجسر، أغلب الناس ماتوا خنقاً تم تسميمهم. لقد دخلت إلى المشرحة كان الكثير منهم كأنه قد تعرض إلى ضربة كيمياوية ربما عن طريق الرش. إننا نؤكد أن المسألة تتعدى الزحام. ونطالب الحكومة بإجراء التحقيقات الكاملة في هذه القضية. لقد كانت أنوف الضحايا وآذانهم تنزف دماً وبشراتهم متهرئة، وسوداء. ثم تكلم شيخ طاعن في السن ليصف حالة الاختناق قائلاً: "الخنق يكون بواسطة الدوس على الصدر أو على القلب، أو حدوث كسر، أما هؤلاء الناس فتم تسميمهم، ثم تساقطوا على بعضهم البعض، في قطاعنا خمسة وعشرون شهيداً. وفي مدينة الصدر نحو ٦٠٠ شهيد. إن الدولة مقصرة ايضاً ولكن هذا لن يثنينا عن الزيارة وعن محاربة الإرهاب.

عزاء آخر

في مكان آخر تحدث أحد الأبناء عن أبيهم الشهيد قائلاً: "لقد خرج أبي في الصباح يروم زيارة الإمام الكاظم (عليه السلام)، ولكنه خرج لآخر مرة في حياته. بعد ان سمعنا بالحادث ذهب الجميع للبحث عنه اتصل بنا عمي ليعلمنا أنه قد وجد جثة أبي في مستشفى الجوادر الحمد لله إننا عثرنا عليه فجيراننا ما زالوا يبحثون عن امرأة لهم منذ يومين. أبي كان متقاعداً يبلغ الرابعة والخمسين من العمر وهو يحب الزيارات إلى العتبات المقدسة بعد أن غسلنا جسده خرج بعض الدم من فمه وأنفه لم يكن موضوعاً في ثلاجة لأن عدد الثلاجات لم يكن يكفي.

علي سعد داود ٣٧ عاماً قال: "إن أغلب الضحايا هم من سكنة مدينة الصدر إن الموت في مدينتي أصبح مجانياً إننا نطالب الحكومة أن تقول لنا الحقيقة لأننا نريد أن نعرفها ألا يكفينا موتاً ودماراً؟! لقد شبعنا منه حتى أصبح أمراً عادياً هنا. من المآسي التي سمعتها إن أحد جيراننا جاؤوا به ميتاً من حادث جسر الأئمة، ثم أخذوا يبحثون عن ابنه، فجيء به ميتاً هو الآخر. ولدي صديق، فقد اخته في الحادثة، ثم وصلت ورقة وفاة باسمها، ولكنهم عندما دققوا في الجثة ظهر لهم إنها ليست اختهم، فأعادوها إلى المستشفى، وفي المساء جاؤوا بجثة أخرى ظنوا أنها هي اختهم ولكن وللمرة الثانية تبين أنها لم تكن هي. جاري ما زال يبحث عن أخته، إننا نطالب بفحص الجثث وتدقيق ما حدث لأننا نريد أن نعرف الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة.

حزن عميق يخيم على مدينة الصدر وإحساس أعمق بالوحدة الوطنية

بغداد / عبد الزهرة المنشداوي

مدينة الصدر نالت النصيب الاوفر من شهداء فاجعة جسر الائمة الذين توزعوا على قطاعاتها باعداد متفاوتة من الضحايا.

كادت المدينة في الصباح تكون شبه خالية من سكانها الذين قصدوا الكاظمية لزيارة ضريح الامام موسى بن جعفر الكاظم "ع" بمناسبة يوم وفاته منذ طلوع الفجر، مشياً على الاقدام ليقطعوا المسافة ما بين المدينتين بزمن قدره البعض بثلاث ساعات. اقفلت المحال ابوابها وخفت حركة السير بشكل غير اعتيادي.

وعندما تناهت الى الأسماع الأنباء عن الحادث الجلل انقلب حال المدينة رأساً على عقب، ونشطت الحركة باتجاه الكاظمية لتفقد العوائل التي ذهب افرادها للزيارة. ثم بدأت خيام مجالس الفاتحة تقام بشكل لافت للنظر.

قمنا بجولة بين قطاعات المدينة والتقينا بعض سكانها لنخرج بهذه الحصيلة من الحديث والانطباعات.

طفلة ضائعة

قال لنا عقيل عواد من سكنة القطاع ٣٧:

رأيت احد الزوار وهو يندفع راكضاً فوق جثث الناس لكنه سقط وسطهم آخر الامر. رأيت طفلة قرب جثتي امرأتين تبكي وعندما اقتربت منها اشارت إلى الجثتين وانتحبت بصوت عال: كانتا خالتها وعمتها، فاصطحبت الطفلة وكان عمرها نحو ٩ سنوات إلى بيتي وكنت ابكي لبكائها وفي البيت عرفت منها بانها من سكنة منطقة الكريعات، فاخذتها إلى هناك بعد أن دلتني على بيتهم، وقد خفف ظهورها حية بين ذويها المنكوبين من حزنهم بعض الشيء

أب يرمي بطفله إلى النهر!!

يصف محمد عباس من سكنة القطاع (١٧) ما شاهده على الجسر: رأيت نساء واطفالاً يقفزون من على الجسر إلى النهر ولم يفارق مخيلتي إلى هذه اللحظة رؤية أب يرمي بطفله إلى النهر ثم يتبعه قافزاً وراءه. لقد سمعت صوت دوي القنابل التي سقطت قرب مرقد الامام موسى بن جعفر (ع) والتي ارى انها كانت السبب المباشر وراء الهلع والذعر الذي اصاب الزائرين فجعل منهم موجات بعضها يصطدم ببعض. لا ابرئ الصداميين من هذه الفعلة النكراء.

موجات بشرية

صباح مجيد التقيناه في مأتم مقام لاب وابنه فقدا حياتهما في الفاجعة ومن سكنة القطاع ,٣٣ يقول لنا:

نحن ثلاثة اشقاء قصدنا مرقد الامام موسى بن جعفر (ع) للزيارة مشياً على الاقدام من مدينة الصدر. في منتصف الجسر باتجاه المرقد فوجئنا بموجة بشرية تدفعنا، سقط شقيقي على اثرها وحاولت مساعدتهما لكنني عجزت وداس البعض باقدامهم فوقي. لقد شعرت حينها بان اجساداً من حولي قد تصلبت واصبحت مثل الجدران الكونكريتية تضغط على جسدي، ووجدت صعوبة بالتنفس ويئست من محاولة المساعدة فهربت وكان املي ان اتنشق الهواء فقط. ثم عدت إلى البيت بشعور حزين انني فقدت شقيقي إلى الابد، ولكن والحمد لله عثرت عليهما آخر الامر في احد المستشفيات احياء.

خضير فالح من سكنة القطاع ٣٨ قال لنا:

اغلب الضحايا كانوا من النساء والاطفال والشيوخ الضعفاء. حاولت المساعدة قدر استطاعتي بسحب من سقطوا وداستهم الاقدام لكني لم افلح. رأيت امرأة كبيرة في السن فارقت الحياة بعد ان ديست بالاقدام. عن نفسي لا اعلم كيف نجوت بعد ان شعرت بخوار قواي واختناقي.

ضحايا القطاع ٤٢

مسلم ابو سجاد رجل خمسيني العمر، يقول:

شهدت الفاجعة بنفسي. ولكن لي ملاحظات اريد ذكرها منها ان اغلب الضحايا كانوا من مدينة الصدر بدليل ان (١٠٥) من الضحايا كانوا من قطاع ٤٢ ونحن نعلم ان عدد قطاعات المدينة هو ٧٩ قطاعاً كما اعرف ان عدد الضحايا في قطاع ٣٩ هو سبع بينهم قريبي وابنه البالغ من العمر ١١ سنة. اما في قطاعي ٧ و ٨ فقد بلغ مجموع الضحايا فيهما ١٦ ضحية وقطاع ٣٧ ضحاياه (٥) وقطاع ٣٨ ضحاياه (٦) وقطاع (٣٣) ضحاياه (٤٥)، ولا اعلم عن بقية القطاعات لقد زرت بنفسي مأتم ثلاث ضحايا موزعين على ثلاثة قطاعات والشيء الآخر الذي لا بد من ذكره هو ان زوار مدينة الصدر الذين قصدوا الكاظمية مشوا زهاء ثلاث ساعات لقطع المسافة بين مدينتهم ومدينة الكاظمية، أي انهم كانوا متعبين وخائري القوى.

واعرف جماعة منهم قصدوا الكاظمية في نحو الساعة الثالثة فجراً. كثرة الضحايا في قطاع ٤٢ كان سببها ان سكنة القطاع ساروا بموكب، فحدث لهم ما حدث. وهنا لا بد لي من ان اشير ايضاً إلى ان الجثث التي سقطت على جسر الاعظمية كانت مزرقة الشفاه ويعلو افواهها زبد ابيض وذلك دلالة على ان الموت حدث اختناقاً. هذا كل ما اردت قوله

ضحية بلا ماتم

في قطاع ٣٤ راينا جماعة أمام بيت فسألناهم عن الضحية فقالوا لنا (ام وابنتها) عثر على جثتهما فوق الجسر. وعرفنا من احدهم ان ذوي العلاقة يبحثون عن خيمة (جادر) لاجراء مراسيم الفاتحة على روحيهما لكنهم عجزوا لنفادها من المكاتب التي تتعاطى بهذا الشأن، وان سعر الخيام شهد تصاعداً كبيراً، وبلغ تأجير الخيمة الواحدة من ٢٠٠ الف دينار إلى ٨٠٠ الف دينار.

حديث الشهيد

زرنا في جولتنا عدداً كبيراً من المآتم المقامة في مدينة الصدر. وفي القطاع ٣٧ التقينا السيد مجبل عبد في مجلس الفاتحة المقام على روح اخيه جبار قال لنا بانه بحث عن جثة شقيقه في نحو الساعة السادسة عصراً ولم يعثر عليها إلا في منتصف الليل في مستشفى مدينة الطب واشار إلى استشهاد "عثمان علي" ووصف شهادته بانها (إفصاح عن) معدن العراقيين الحقيقي، وان هذا الرجل يجب ان تكون شهادته نقطة بدء لعراق متآخ لقد كان عراقياً اصيلاً وبطلاً حقيقياً بمعنى الكلمة وادعو بدوري اهالي مدينة الصدر إلى التعبير بشكل وبآخر عن تقديرهم لهذا الموقف الذي سيسجله التاريخ والعراق كله لا الأعظمية وحدها.

لقد كان الحديث عن الشهيد عثمان طاغياً في حديث مجالس العزاء.

العائدون من مراسيم الدفن

مهدي عبد الحسين من القطاع ٨ ذهب لدفن شقيقه وحدثنا عن موقف اهالي النجف فقال:

كان استقبالهم لنا استقبالاً خفف عنا ما اصابنا من فاجعة، لقد استقبلونا خير استقبال وعرضوا علينا الاستراحة في منازلهم وفعلاً استقبلونا في منازلهم وقدموا لنا الطعام والماء اما في دفن الموتى فقد امتنعوا عن تسلم اجر عملهم. كان كل شيء يقدم مجاناً. وهذا الامر كما آراه ليس مستغرباً، فالنجف مدينة الامام علي بن ابي طالب (ع) ومشهود لها ولاهلها بالكرم والاصالة.

أب يرفض الموت

ابو علي ذهب مع الذاهبين للبحث عن المفقودين في مستشفيات بغداد للبحث عن ابنه الذي قصد مدينة الكاظمية صباحاً.

لقد آلمني كثيراً رؤيته وهو يتسلم جثة ولده الصغير فقد احتضنها وقبلها وخرج بها من المستشفى مردداً ان ابنه حي وسيذهب به إلى مستشفى آخر. ولم يستطع ملاك المستشفى - عندما حاولوا منعه من الخروج بالجثة - اقناعه بحقيقة الامر. لقد رأيت الرجل يحمل طفله كما لو كان حياً.